المشرق

اخوة واخوات يسوع

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

١

ذكر لفظ « اخوة » في الآيات

ورد في اسفار العهد الجديد ذكر « اخوة واخوات يسوع » فنقول انهُ يُراد بهم اقارب السيّد المسيح ، لا اخوة ليسوع في الحقيقة

يُفيدنا ان نأتي بادئ بدء بالآيات التي ورد فيها ذكر اخوة واخوات يسوع:

« فيما هو يتكلّم مع الجموع اذا امّه واخوته قد وقفوا خارجاً يريدون ان يكلّموه . فقال لهُ واحدٌ ان امّك واخوتك واقفون خارجاً يريدون ان يكلّموك » (متى ١٢ : ٤٦و٤٧)

« اليس هذا هو ابن النجّار . اليست امّه تسمّى مريم واخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا . او ليست اخواته كلهنّ عندنا فمن اين لهُ هذا كله . وكانوا يشكّون فيه » (متى ١٣ : ٥٥ — ٥٧)

« حينئذٍ جاءت امّه واخوته ووقفوا خارجاً وارسلوا اليه يدعونه . وكان الجمع جلوساً حوله فقالوا لهُ ان امّك واخوتك خارجاً يطلبونك » (مرقس ٣ : ٣١و٣٢)

« أليس هذا هو النجّار ابن مريم واخا يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان . او ليست اخواته ههنا عندنا . وكانوا يشكون فيه » (مرقس ٦ : ٣)

« واقبلت اليه امّه واخوته فلم يقدروا على الوصول اليه لاجل الجمع . فأُخبر

وقيل لهُ ان امك واخوتك واقفون خارجاً يريدون ان يروك» (لوقا ٨: ١٩و٢٠)

«وبعد هذا انحدر الى كفرناحوم هو وامه واخوته وتلاميذه ولبثوا هناك اياماً غير كثيرة» (يوحنا ٢: ١٢)

«فقال لهُ اخوته تحوَّل من ههنا واذهب الى اليهودية ليرى تلاميذك ايضاً اعمالك التي تصنعها ... لانَّ اخوته لم يكونوا يؤمنون بهِ» (يوحنا ٧: ٣و٥)

«هؤلاء [اي الاحد عشر رسولاً] كانهم كانوا مواظبين على الصلاة بنفس واحدة مع النساء ومريم امّ يسوع ومع اخوتهِ» (اعمال ١: ١٤)

«أما لنا سلطان ان نجول بامرأةٍ اختٍ كسائر الرسل واخوة الرب وكيفا (١)» (١ كور ٩: ٥)

«ولم ارَ غيره من الرسل سوى يعقوب اخي الرب» (غلاطية ١: ١٩)

فمن إلقاء النظر على مجموع هذه الآيات يتبادر الى الذهن انَّ المسمَّين اخوة يسوع هم اولاد مريم العذراء ويوسف واخوة يسوع في الحقيقة. وليس الامر كذلك بل هم من اقارب المسيح كما سنبيّنه بالادلّة التي لا مردَّ عليها

* * *

بتولية العذراء مريم والقديس يوسف

انَّ الكنيسة جمعاء، إن شرقيَّة وإن غربية، اعتقدت ولا تزال تعتقد كحقيقة من الايمان ان مريم امّ يسوع هي عذراء لم تعرف رجلًا. وهذا الاعتقاد يؤيّده جميع آباء الكنيسة كاوريجين وباسيليوس واپيفانيوس وثاوفيلكتوس وكيرلّس الاسكندري وتيودوريت وايرونيموس وامبرسيوس واوغسطينوس وكثير غيرهم. وقد سلّم بهذه الحقيقة بعض البروتستانت. زد على ذلك اننا نجدها في قانون ايمان الرسل حيث مريم امّ يسوع تسمَّى عذراء: «وُلد من مريم العذراء» فكان

(١) كان من عادتهم ان يتصحبوا في جولاتهم نساء تقيّات ليخدمنَهم في التبشير كما هو مذكور في الانجيل عن المسيح نفسه «وبعد ذلك جال في المدُن والقرى يكرز ويبشّر بملكوت الله ومعهُ الاثنا عشر ونساء كان قد ابرأهنَّ من ارواح شريرة وامراض وهنَّ مريم ... وحنَّة ... وسوسنَّة ... وأخر كثيرات كنَّ يبذلنَ من اموالهنَّ في خدمته» (لوقا ٨: ١-٤)

هذا اللقب مميزًا لها ، لانها حبلت بيسوع بقوَّة الروح القدس: «انَّ الروح القدس يحلّ عليكِ وقوَّة العلي تظلِّلكِ » (لوقا ١: ٣٥) . وكانت عذراء في ولادتها يسوع اذ انهُ وُلد منها كما يجتاز شعاع النور الزجاج دون ان يثلمه ، وكما دخل يسوع علِّيَّة صهيون بعد قيامته والابواب مُغلَقة (يوحنا ٢٠: ١٩و٢٦) ويُستنتَج ذلك ايضاً من نوع كلام لوقا (٢: ٧) في ميلاد يسوع : «ولدت ابنها البكر فلفَّتهُ واضجعتهُ في مذود» . فالعذراء مريم ذاتها عُنيت بمولودها الحديث الطفل يسوع . وهذا يدلّ صريحاً ، وإن ضمناً ، على ولادة خارقة العادة وميلاد عجائبي . وبقيت عذراء بعد الولادة لانها حياتها كلّها لم تعرف رجلًا ولم تلد غير يسوع . ونرى الآباء القديسين يخصصون بالعذراء مريم ما قالهُ حزقيال النبي (٤٤: ٢) عن باب المقدس: «قال لي الربّ ان هذا الباب يكون مُنلَقاً لا يُفتَح ولا يدخل منهُ رجل لان الرب إله اسرائيل قد دخل منهُ فيكون مغلقاً » . اوكان لائقاً ان التي ولدت يسوع وحفظها عذراء في ميلاده تلد غيره وتفقد بتوليتها ؟ لا لعمرُ الحقّ . فالمعتقد القويم الذي نادت بهِ جميع الكنائس منذ ابتداء النصرانيَّة هو ان مريم العذراء هي دائمة البتولية

وقد اثبت هذه العقيدة الاحبار الاعظمون ، والمجامع . فأصدر البابا سيريس حكمه سنة ٣٩١ مؤيداً هذا الايمان . وفي المجمع اللاتراني المنعقد سنة ٦٤٩ قرَّر الآباء ان البتول مريم بقيت عذراء بعد الولادة . وفي السنة ١٥٥٥ حرم البابا بولس الرابع هرطقة السوسنيين ، واعلن ان مريم والدة الله هي عذراء قبل الولادة ، وفي الولادة ، وبعد الولادة ؛ وان هذا الاعتقاد هو من جملة الحقائق التي يجب ان نؤمن بها

ثم ان بعض الآباء ، واخصهم القديس ابيفانيوس ، رغبةً منهم في ان يدافعوا عن حقيقة بتولية مريم العذراء ، بسبب ما ورد في اسفار العهد الجديد من ذكر اخوة واخوات يسوع ، ارتأوا ان من يسمّيهم الكتاب المقدس بهذا الاسم كانوا اولاد يوسف خطيب مريم البتول ، ولدوا لهُ من امرأةٍ كان تزوَّجها قبل ان يخطب العذراء . لكنَّ هذا القول لا سند لهُ وهو بعيد عن الصواب ، ومنافٍ لما علَّمتهُ وتعلِّمهُ الكنيسة من ان خطيب مريم العذراء كان

وبقي بتولاً حياته كلها. وقد دافع عن بتولية القديس يوسف القديس ايرونيموس وكثير من آباء الكنيسة ومعلميها

قال القديس ايرونيموس : «ظنّ البعض ان اخوة الرب هم اولاد يوسف وُلدوا لهُ من امرأة اخرى متقادمين في ظنّهم هذا الى احلام الاناجيل الاپوكريف» اي الاناجيل الزور . وقال ايضاً مخاطباً هلفيديوس الذي كان ينكر بتولية مريم العذراء «تدّعي انت ان مريم لم تبقَ عذراء . وانا اقول لك ما هو اعظم وهو ان يوسف نفسه كان بتولاً وذلك بسبب مريم لكي يُولَد البتولية بالذات (اي يسوع) من زواج بتولَيْن». وتعليم ايرونيموس هذا قد تمسّك بهِ يوحنا فم الذهب مصباح الكنيسة الشرقية وقد انضمّ اليهما تيودوريت وثاوفيلكتوس من آباء اليونان . اما آباء الكنيسة الغربية فانهم لم يذكروا مسألة زواج يوسف خطيب العذراء بامرأة اخرى الّا ليفنّدوا هذا القول الفاسد ويرذلوه . قال القديس اوغسطينوس في عظته ٢٤ ليوم ميلاد الرب «قد وُلد المسيح قوة الملائكة من مريم ويوسف المتشابهين في البتولية»

وتعليم الآباء تؤيده الليتورجيات : فالكنيسة اليونانية تمدح يوسف بثناء عطر لم تخصّ بهِ اعظم القديسين وتذكر صريحاً بتوليته في المناون الكبير في يوم الاحد المعروف بأحد يوسف الواقع بعد عيد الميلاد حيث ورد عنهُ ما ترجمته «انك (يا يوسف) قد حصلتَ على البتولية ودُعيت اباً للطفل المولود» وفي منـارون الروم المطبوع ببيروت (الجزء الاول ص ٣٦٤ العمود ٢) نقرأ «يا يوسف المجيد بما انك مزيّن بسيرة لا عيب فيها فقد حصلت حافظاً للبتولية الحقيقية البريئة من العيب ودُعيت اباً للغلام المولود فتعظمت بهذه التسمية الشريفة». أيوجد شهادة اوضح من هذه ؟ وفي السنكسار اليوناني المستعمل في كنائس اليونان في ايطالية ورد ذكر عيد القديس يوسف بهذه الصورة «عيد الجليل والدائم البتولية يوسف خطيب مريم العذراء»

ان مقام القديس يوسف وشرف العذراء مريم كانا يقتضيان بتولية يوسف لان يسوع اختار امّاً بتولاً واصطفى لهُ صابناً بتولاً ، يوحنا المعمدان ، وأحبّ تلميذاً بتولاً ، يوحنا الحبيب. افما كان من اللائق ان يختار لهُ اباً شرعياً يكون

بتولًا ؟ لان البتولية اسمى رتبة من الزواج وتفوقه شرفاً فقد قال الحكيم (حكمة ٤:١) « ان البتولية مع الفضيلة اجمل » . وقال بولس الرسول (١ كور ٧:٣٨): « من زوّج عذراءه يفعل حسناً ومن لم يزوجها يفعل احسن ». والوثنيون انفسهم نظروا الى البتولية بعين الاعتبار وأقرّوا بشرفها فقد كان الشعب الروماني يفتخر كل الافتخار بتلك العذارى المنقطعات الى خدمة الالهة ڤستا ولقد قرظوا في كتبهم العفة ابدع تقريظ . قال شيشرون « لا شيء انقى واحسن من حياة العزّاب المنقضية بملازمة العفة »

امّا مصدر رأي ابيفانيوس الفاسد فهو الاناجيل الاپوكريف ، اي الاناجيل المزور ، انجيل يعقوب وانجيل بطرس وانجيل ميلاد مريم وانجيل طفولية يسوع .

فلتأييد حقيقة بتولية مريم لا حاجة الى القول بان من يُسمَّون اخوة يسوع كانوا اولاد يوسف خطيب مريم العذراء من زواج سابق لزواجها . بل يكفي ان نبيّن اولًا ان اللفظة « اخ واخوة » تُطلق على الاقارب بدرجات متفاوتة . وان نبيّن ثانياً ان الذين يُسمَّون اخوة يسوع نجد لهم في الانجيل وفي التاريخ ابوين مختلفين عن مريم العذراء وخطيبها يوسف

* * *

معنى كلمة « اخوة »

نقول اولًا ان اللفظة « اخ واخوة » وردت في مواضع مختلفة من الكتاب المقدس بمعنى الاقارب ، لا بمعنى الاخوة الحقيقيين . ففي سفر التكوين (١٣:٨) يسمّي ابراهيم الخليل لوطاً اخاهُ : « انا نحن رجلان اخوان » ؛ « فلمّا سمع ابرام ان اخاهُ قد أُسر . . . فاسترجع جميع المال ولوطاً اخاه » (تكوين ١٤:١٤و١٦) . ومعلوم ان لوطاً لم يكن اخاً لابراهيم بل ابنَ اخيه : « واخذوا لوطاً ابن اخي ابرام » (تكوين ١٤:١٢) . وفي سفر اخبار الايام الاول (٢٣:٢٢) نقرأ : « ومات اليعازار ولم يكن لهُ بنون بل بنات فاخذهنَّ اخوتهنَّ بنو قيش » . يريد بالاخوة بني العمّ كما يتّضح من الفصل ذاته (٢٣:٢١) : « وابنا مَحْلي أليعازار وقيش » . وجاء في سفر الاحبار (١٠:٤) : « دعا موسى ميشائيل وألصفان ابني عزيئيل عمّ هرون . وقال لهما تقدّما واحملا اخويكما من امام

القُدْس الى خارج المحلّة» يعني باللفظة «اخويكما» ابني ابن العمّ ، لانّ الكلام عن ناداب وابيهو ابني هرون اللذين قرّبا بين يدي الرب بخوراً لم يأمرهما به فأكلتهما النار وماتا. وفي سفر الملوك الرابع (١٠:١٣) ورد ما حرفه: «صادف ياهو اخوة أحزيا ملك يهوذا فقال لهم من انتم فقالوا نحن اخوة أحزيا انحدرنا لنسلّم على بني الملك» فامر بذبحهم وكانوا اثنين واربعين رجلاً . ونعلم من سفر اخبار الايام الثاني (٢٢:٨) انهم لم يكونوا بالحقيقة اخوة احزيا بل بني اخوته: «لما كان ياهو يقضي على بيت آحاب وجد رؤساء يهوذا وبني اخوة احزيا الخادمين لأحزيا فقتلهم»

فمن هـذه الآيات وغيرها يتضح جلياً ان اللفظة «اخوة» في الكتاب المقدّس وردت بمعنى الاقارب بدرجات متفاوتة في القرابة . وبهذا المعنى ايضاً استُعملت اللفظة «اخوة يسوع» في العهد الجديد اي بمعنى اقارب يسوع . واطلاق اسم الاخوة على الاقارب لا يزال جارياً في ايامنا في انحاء كثيرة من الشرق

* * *

أبوا المسمين «اخوة يسوع»

والآن نتقدّم خطوةً اخرى ونبيّن مَن هما في الحقيقة ابوا الاربعة الاخوة المسمّين اخوة يسوع . فنقول :

ان الانجيل يذكر اربعة اخوة ليسوع هم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا (متى ١٣:٥٥ ومرقس ٦:٣) . ويقرن دائماً يعقوب ويوسى معاً ، وسمعان ويهوذا معاً ، وسنبيّن سبب ذلك. فان وجدنا في الانجيل والتاريخ لهؤلاء الاربعة الاخوة ابوين مختلفين عن مريم العذراء ويوسف خطيبها ، نكون اثبتنا ما نريد اثباته من ان الذين يُسمّون اخوة يسوع واخواته ليسوا الّا اقاربه لا اخوته واخواته بالحقيقة؛ ونكون ايّدنا معاً بتولية مريم العذراء وبتولية يوسف خطيبها

قال يوحنا في انجيله (١٩:٢٥) : «كانت واقفة عند صليب يسوع امّه واخت امّهِ مريم التي لكلوبا». فنقول ان مريم هذه ، التي هي لكلوبا والتي هي اخت مريم امّ يسوع ، هي والدة الاولاد المسمّين اخوة يسوع ؛ وانّ كلوبا

او حلفى هو ابوهم. والبرهان على ذلك نجده في الانجيل وفي ما سلم من الضياع من تاريخ هجزيب

ورد في الانجيل : « مريم امّ يعقوب » (لوقا ٢٤ : ١٠) « مريم امّ يعقوب ويوسى» (متى ٢٧ : ٥٦) «مريم امّ يعقوب الصغير وامّ يوسى» (مرقس ١٥ : ٤٠). فبقوله « الصغير » اراد ان يميّزه عن يعقوب بن زبدى اخي يوحنا الحبيب

فها قد وجدنا امّاً ليعقوب ويوسى المسمّين ، اخوي الرب ؛ فأمّهما مريم التي لكلوبا اخت مريم العذراء الواقفة معها عند صليب يسوع

ويؤيّد كلام الانجيل ما ورد في تاريخ هجزيب . نشأ هجزيب في فلسطين في اوائل القرن الثاني للمسيح . ثم وُجد في رومية على عهد البابا أنيسيت(١٥٦— ١٦٧)وأتمّ تدوين معلوماته بالكتابة في ايام البابا إلوثيروس(١٧٥ — ١٨٩) وكان طعن في السنّ .وقد استقصى في الاستعلام عن اقارب المسيح ، اذ كان مقيماً في فلسطين ، ممن كانوا باقين في قيد الحياة من اقارب المسيح وقد اضطهدهم الامبراطوران دوميسيان وتراجان لانهم من نسل داود الملك . ويُعتبر هجزيب كأب للتاريخ الكنسي .وقد قرّظه اوسابيوس المؤرخ ، واقتبس بعض المقاطيع من تاريخه الذي فُقد مع توالي الايام والحوادث الّا القليل منه .ومن ثم فهجزيب هو اعلم من غيره باقارب المسيح فيمكننا ان نعتمد عليه ونثق الثقة التامة بما كتب

فهجزيب هذا ، اذ يذكر سمعان ويعقوب اخوي الرب ، يسمّيهما ابني عمّ الرب . واليك تعريب عبارته اليونانية : «يعقوب الملقّب الصدّيق بعد ان استشهد مثل الرب وبسبب تعليمه الحقيقة ذاتها أقيم اخوه سمعان بن كلوبا عمّ الرب خلفاً له باتفاق الجميع على المناداة به اسقفاً [لاورشليم] لانه هو ايضاً ابن عمّ آخر للرب » (١ فترى ان هجزيب يسمّي كلوبا عمّ الرب وان سمعان هو ابن كلوبا وان يعقوب وسمعان هما اخوان وابنا عمّ الرب . وفي بدء مقالته نرى هجزيب يسمّي يعقوب «أخا الرب» (٢ مُتّبعاً في ذلك مثال كتبة العهد الجديد فيستعمل اللفظتين «الاخ» و «ابن العمّ» على الترادف . فيعتبر لفظة الاخ مرادفة لابن العمّ

١) مجموعة الآباء اليونان لمين المجلد ٥ العمود ١٣٢١

٢) مجموعة الآباء اليونان لمين المجلد ٥ العمود ١٣٠٨

ولفظة ابن العم مرادفة للاخ . وقال ايضاً هجزيب (١ ان مريم التي لكلوبا ولدت سمعان . ونعرف من الانجيل ان مريم التي لكلوبا هي ايضاً « امّ يعقوب ويوسى » . فترى ايها القارئ ان مريم التي لكلوبا هي امّ يعقوب ويوسى وسمعان

بقي علينا ان نبحث عن ابوي الاخ الرابع يهوذا . فيهوذا هذا في بدء رسالتهِ يصرّح بانهُ اخو يعقوب : « من يهوذا عبد يسوع المسيح واخي يعقوب » (يهوذا ١) . ذكرَ يعقوب لشهرته لانه كان اول اسقف على اورشليم . فاذًا يهوذا هو ايضاً ابن عمّ الرب وابن مريم التي لكلوبا . وقد قال عنهُ هجزيب (٢ « يهوذا المسمّى اخا الرب بحسب الجسد » . فلو كان يهوذا اخا الرب حقيقةً لما كان من معنى للفظة « المسمّى » بل كانت لغوًا . فلم يكن اخا الرب حقيقةً بل من اقاربه . اما قوله « بحسب الجسد » فلكي يميّز تلميذ الرب وقريبه من سائر التلاميذ الذين هم اخوة الرب بالروح فقط لا بالقرابة . كما قال السيد المسيح لمريم المجدلية (يوحنا ٢٠ : ١٧) : « امضي الى اخوتي وقولي لهم اني صاعدٌ الى ابي وابيكم والهي والهكم . فجاءت مريم المجدلية واخبرت التلاميذ »

فلخص القول هو ان يوسف البتول واخوه كلوبا تزوّجا اختين تسمّيان كلتاهما مريم ، (٣ على فرض ان مريم التي لكلوبا هي شقيقة مريم العذراء ، فعاش يوسف مع خطيبته مريم العذراء متبتلين . اما كلوبا فانه اولد اربعة بنين وثلاث بنات (٤ وهؤلاء السبعة هم اولاد كلوبا عمّ يسوع وأبناء خالتهِ مريم اخت مريم العذراء . فلا عجب ان يُسمّوا اخوة واخوات يسوع بسبب القرابة المزدوجة من قِبل الاب والامّ .

ولدينا رأي آخر نراه اصحّ مما تقدم وسنبيّنه في العدد القادم

---

١) مجموعة الآباء اليونان لمين المجلد ٥ العمود ١٣١٧

٢) مجموعة الآباء اليونان لمين المجلد ٥ العمود ١٣١٦

٣) ليس من الغريب ان اختين في العائلة الواحدة تُسميان باسم مريم . وكان هذا الاسم شائعاً عند اليهود . ففي آية واحدة من انجيل يوحنا (١٩ : ٢٥) تذكر ثلاث نسوة باسم مريم : مريم ام يسوع ، ومريم التي لكلوبا ، ومريم المجدلية . وكان لهيرودس الكبير ابنان باسم فيلبس وابنان باسم هيرودس وابنان باسم فاسايل . وكان لاوكتافي اخت اوغسطوس قيصر اربع بنات اثنتان منهنّ تُسمّيان مرسلًا واثنتان انطونيا ٤) ان الانجيل يقول « اخواته » بصيغة الجمع . وهذه الصيغة تستلزم على الاقل ثلاث بنات